سلسلة من صفات عباد الرحمن

٣

المروءة

سيد عاصم علي

دار الصحابة للتراث بطنطا

كتاب قد حوى دررًا بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيهًا

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م

دار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر والتحقيق والتوزيع

شارع المديرية أمام محطة بنزين التعاون
ت : ٣٣١٥٨٧ ـ ص . ب : ٤٧٧

توطئـــة

الحمد لله الداعي إلى المروءات ، المنعم بالخيرات ، والصلاة والسلام ، على خير الأنام ، صاحب المقام الكريم ، والخلق القويم ، الذي زكاه ربه فقال عز وجل :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

أما بعد :

فياعَمَّر الله باليقين قلبك ، وثبَّت على الحق قدمك ، وأذاقك برد اليقين ، وحلاوة الإيمان ، وشملك ببره وعطفه ، وكلأك بأنعمه وفضله .

[أتدري ما جماع الأخلاق ومنتهى الفضائل] .. ؟؟

إنها ... **المروءة** .. لا غيرها .

تلك الكلمة التي تحوي معاني الإنسانية ، وكمال الأخلاق ، ومنتهى الفضل والكرم .

ومع هذه الكلمة ، نعيش هذه الوريقات ، نتفيأُ ظلالها ونتنسم شذاها ... نعيش معها بقلوبنا وعقولنا ، فَنُشْرِبَ معانيها ، ونعي حدودها ورسومها ، عسى أن نلحق بركب قومٍ فضلاء ، نبهاء عقلاء ، فهموا معنى المروءة فعاشوها ، وأصبحوا لها أعلاماً ومصابيح ، يهتدي بهم كل من يخطب ودها ، وكل من يريد درجات الكمال ، ومراتب العلا .

وعلى الله التيسير ، وبه العون ، ومنه التوفيق .

أبو عبد الرحمن

السيد عاصم

طنطا فى : ١٨ ربيع أول ١٤٠٨ هـ
١٠ نوفمبر ١٩٨٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

حقيقة المروءة

المروءة خلق الكرام ، وأروع ما تحلى به الرجال ، وتزيَّن به أهل الحِجَا [١] والكمال ، فهي حِلْيَةُ الفضلاء ، وشيمة العقلاء ، ونُزْهَةُ الألباء [٢] .

ومعناها في اللغة ، يدل على أنها جِماعُ الإنسانية ومنتهاها ، وَلُحْمَةُ الأخلاق وسُدَاهَا [٣] .

المروءة عند أهل اللغة

قال صاحب القاموس :—

« مرؤ كَكَرُمَ ، مروءة ، فهو مرىء ، أي ذو مروءة وإنسانية ، ومَرَأَتْ الأرض مراءة ، فهي مريئة ... حسن هواها » [٤] .

وجاء في لسان العرب :

« المروءة كمال الرجولية ، مرؤ الرجل يمرؤ مروءة ، فهو مرىء على فعيل ، وتَمَرَّأَ على تَفَعَّلَ ، صار ذا مروءة ، والمروءة الإنسانية » [٥] .

وجاء فى تهذيب الصحاح :

« المروءة الإنسانية » [٦] .

---

(١) الحجا : العقل والفطنة .

(٢) الألباء : العقلاء ، مفردها لبيب .

(٣) السدى واللحمة ، ظاهر الثوب وباطنه .

(٤) القاموس المحيط ٢٨/١ مادة « مرأ » .

(٥) لسان العرب ٤١٦٦ مادة « مرأ » .

(٦) تهذيب الصحاح ١/٤٩ .

المروءة عند الحكماء والبلغاء

اختلف الناس فى حقيقة المروءة ، فذهب البعض إلى أنها حسن الهيئة والعفاف ، وذهب البعض إلى أنها سهولة الأخلاق ولين الجانب ؛ وصِدْقُ معناها ، إنها كل ذلك ، بل وأكثر ...

يقول **ابن القوطية** :

هى الخصال الحميدة ، والخلال الجميلة ، التى يكمل بها الإنسان .

قال رجل **للأحنف بن قيس** :

دلني على المروءة ، فقال : عليك بالخلق الفسيح ، والكف عن القبيح .

وقال **الزمخشري فى أطواق الذهب** :

المروءة خَلِيقَة ، برضاء الله خَلِيقَة [1] .

وقيل **لعبد الملك بن مروان** :

« ما المروءة ؟ .. فقال : موالاة الأكفاء ، ومداجاة الأعداء » ، وتأويل المداجاة ، المداراة ، أى لا تُظهِرَ ما عندك من العداوة ، وأصله من الدُّجَى وهو ما ألبسك الليل من ظلمته .

وقيل **لمعاوية** :

ما المروءة ؟ ... فقال : احتمال الجريرة ، وإصلاح أمر العشيرة ، والحلم عند الغضب ، والعفو عند المقدرة .

---

(١) خليقة الأولى تعني الخُلُق والثانية بمعنى جديرة .

وقيل لبعضهم : ما المروءة ؟ ... فقال طهارة البدن ، والفعل الحسن وعندما سئل **الحسن بن علي** – رضي الله عنهما – عن المروءة قال : الدين ، وحسن اليقين .

وقال ابن حمديس :

أَدِمِ المروءةَ والوفاءَ ولا يكنْ جُعْلُ الديانةِ مِنْكَ غير متينِ
والعِزُّ أبقى ما تَرَاهُ لمكرمٍ إكرامهُ ، لمروءةٍ أو دين

أطراف الخُلُق

سئل **عبد الله بن عمر** عن المروءة والكرم والنجدة ، فقال : أما المروءة ، فحفظ الرجل نفسه ، وإحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعته ، وحسن المنازعة ، وإفشاء السلام .

وأما الكرم : فالتبرع بالمعروف ، والإعطاء قبل السؤال ، والإطعام في المَحْل [1] . وأما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر في المواطن ، والإقدام على الكريهة .

ويروى عن **ابن عمر** أيضاً أنه كان يقول :

إنا معشر قريش لنعد الحلم والجود سؤدداً ، ونعد العفاف وإصلاح المال مروءة .

مروءة السفر ومروءة الحضر

المروءة – أعزك الله – هى شاغل المسلم فى جميع أوقاته ، وكلٌّ له رسم وحد ، وقد جعل سلفنا الصالح ، للسفر مروءة وللحضر مروءة .

قال **ربيعة الرأي** :

المروءة ستة خصال ، ثلاثة في الحضر ، وثلاثة في السفر ، فأما التي

---

(١) المحل : الجدب .

فى الحضر ، فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفَرْج ، وأما التي فى السفر ، فبذل الزاد ، ومداعبة الرفيق ، وحسن الخلق .

وقال **عمر بن الخطاب** – رضي الله عنه – : المروءة مروءتان : مروءة ظاهرة ، ومروءة باطنة ، فالمروءة الظاهرة الرياسة ، والمروءة الباطنة العفاف .

وللمروءة مراحل تتدرج بصاحبها إلى تمام الأخلاق وكالها ، فقد قال **ميمون بن ميمون** : أول المروءة طلاقة الوجه ، والثاني التودد ، والثالث قضاء الحوائج .

جماع المروءة وحدها

اعلم – أعزك الله – أن المروءة جامعة الأشتات [١] المبرات [٢] ، جالبة لأسباب المسرات [٣] ، دالة على كرم الأعراق [٤] ، باعثة على مكارم الأخلاق ، حدها رعي مساعي البر ، ورفع دواعي الشر ، والطهارة من جميع الأدناس ، والتخلص من عوارض الالتباس ، حتى لا يتعلق بحاملها لوم ، ولا يلحق به ذم ، وما من شيء يحمل على صلاح الدين والدنيا ، ويبعث على شرف الممات والمحيا ، إلا وهو داخل تحت المروءة ، مرتبط بأحكامها ، منخرط فى سلك نظامها ، وهي في ابن آدم على قسمين :

القسم الأول : في نفسه .

والقسم الثاني : في غيره .

فأما الذي هو في نفسه ، فالحفاظ على الشرع ، والتزام حدود الورع ، كاجتناب المحارم ، والتعفف عن المآثم [٥] .

---

(١) أشتات متفرقة : متفرقات ومفردها شَتٌّ .

(٢) المبرات : الخيرات ونواحي البر .

(٣) المسرات : كل ما أسر الإنسان وأفرحه .

(٤) الأعراق : جمع عرق وهو أصل كل شيء .

(٥) المآثم : جمع مأثم وهو كل ما خالف شرع الله .

وأما الذى هو في غيره ، فبذل النصيحة ، وأداء الأمانة ، وبذل المعروف . وكف اليد واللسان ، وكتم السر ، وقبول العذر ، وبذل الشفاعة ، وما أشبه ذلك ..

فإن أحرز الإنسان هذين النوعين في نفسه وفي غيره ، فقد حوى سبق المروءة ، وحاز كمالها .

ومن ثم نجد أن المروءة جماع الأخلاق ، ومجمع الفضائل ، لذلك قيل :

من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته .

وقيل أيضاً : « لا دين لمن لا مروءة له » .

* * *

وروى الإمام مالك في الموطأ ، عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال :

« كرم المؤمن تقواه ، ودينه حسبه ، ومروءته خلقه ، والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء ، فالجبان يفر عن أبيه وأمه ، والجرىء يقاتل عما لا يئوب به إلى رحله ، والقتل حتف من الحتوف ، والشهيد من احتسب نفسه على الله .

وقال بهرام بن بهرام :

المروءة اسم جامع للمحاسن كلها

وقال أنوشروان :

المروءة أن لا تعمل عملاً في السر ، تستحي منه في العلانية وفى ذلك يقول **الشاعر :**

كمال المروءة صِدْقُ الحديث وَسَتْرُ القبيحِ عن الشَّامِتينا

فالمروءة والصدق ، صنوان لا يفترقان ، كلاهما ركن ركين في قوام الأخلاق .

سئل **الأحنف بن قيس** :

ما المروءة ؟ .. فقال : صدق اللسان ، ومواساة الإخوان .

وقال **الفضل** :

المروءة ، الجمع بين الدين والدنيا ، والتوقي من سخط الخالق ، وذم المخلوقين .

وقال **أبو حاتم البستي** :

على العاقل أن يلزم إقامة المروءة ، بما قدر عليه من الخصال المحمودة .

وقيل : ومن تمام المروءة وكمال الأخوة ، حسن الظن بالصاحب ، وإخلاص المعتقد للحاضر منهم والغائب ، وتأول الخير فيها يظهر من التقصير إن ظهر ، والتماس العذر لذي الهفوة قبل أن يعتذر .

وقال **أبو هريرة** :

جماع المروءة في تقوى الله ، وإصلاح الصنيعة .

وقال **محمد بن علي بن الحسين** :

كمال المروءة الفقه في الدين ، والصبر على النوائب ، وحسن تقدير المعيشة .

ويروى عن **عبد الله بن بكر السهمي** أن **عبد الملك بن مروان** دخل على **معاوية** وعنده **عمرو بن العاص** ، فجلس مليا ثم انصرف ، فقال معاوية : ما أكمل مروءة هذا الفتى ، وأخلقه إن يبلغ ! ، فقال عمرو :

يا أمير المؤمنين ، إن هذا أخذ بخلائق أربع ، وترك ثلاثا :

* أخذ بأحسن الحديث إذا حدث .

* وبأيسر المئونة إذا خولف .

* وبأحسن البشر إذا لقي .

* وترك مزاح من لا يوثق بعقله ولا دينه .

* وترك مخالفة لئام الناس .

* وترك من الكلام ما يعتذر عنه . اهـ .

فهذه جملة شرائع المروءة ، التي لا يقدر على القيام بأدنى المفترض فيها ، إلا ذوو العقول الفاضلة ، والآداب الكاملة .

واعلم – هدانا الله وإياك – أن للمروءة عشر خصال ، لا مروءة لمن لا يجتمعن فيه : الحلم – الحياء – صدق الحديث – ترك الغيبة – حسن الخلق – العفو عند المقدرة – بذل المعروف – إنجاز الوعد – كتم السر – حفظ الإخاء .

كمال المروءة أن نستحي من الله

وكمال المروءة أن يستحي العبد من ربه ، فالاستحياء من المولى جل وعلا ، يصل بالعبد إلى كمال الدين ، وعين اليقين ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – حديث طويل مشهور ، عظيم النفع والفائدة ، ... أن جبريل عليه السلام ، أتى النبي ﷺ ، وسأله فكان مما سأل ، أن قال له : « يا محمد أخبرني عن الإحسان . فقال ﷺ : « الإحسان ، أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » أى يا عبد ، اعبد الله وأنت تستشعر رؤيته ، وكن دائماً وكأنك تراه عياناً ... فبالله كيف يكون حالك وقتئذٍ ، كيف يكون حال من يرى مولاه ويطالعه ، ألا يستحي أن يراه مولاه على ما يكره ، ثم ألا يكفيه هذا زاجرا .

فإن لم يكن ، فليعلم أن الله يراه ، ويطلع عليه ، ويشاهد أحواله ويحصي عليه أعماله وأفعاله ، فلا يكونن أحدنا ، إلا على ما يحب مولاه ويرضى .

وفى هذا الحديث معانٍ جميلة ، جديرة بأن تحفظ وتنقش على صفحات القلوب . وقد قيل :

المروءة : استحياء المرء من الله أولا ، ومن الناس آخرا .

والحياء ينقسم إلى قسمين : فأرفع منازله ، وأجل مراتبه ، الذي هو شعار الأتقياء ، ومفزع الأولياء ، الاستحياء من الله عز وجل وهو الأصل الذى تتفرع منه أغصانه ، وتنشعب عنه أفنانه ، وحد ذلك القسم الوقوف عند حد الله ، والارتباط بحفظ مواثيقه وعهوده ، والائتمار لأوامره ، والانتهاء عن نواهيه ومحارمه ، حتى لا يراه حيث نهاه ، ولا يفقده حيث أمره .

والقسم الثاني من الحياء هو : الاستحياء من الناس ، وهو من مكارم الأخلاق ، ومن نفائس الأعلاق ، به تكمل المروءة ، وَيَتمُّ الصلاح وَيُكَفُّ الأذى ، ويصدق اللسان ، وتؤدى الأمانة ، وتحسن السيرة ، وتصلح السريرة .

* ومن جوامع كلم النبوة فى الحياء :

« الحياء من الإيمان والإيمان من الجنة » [رواه أحمد والترمذى وقال حسن صحيح] .

« الحياء لا يأتي إلا بخير » رواه الشيخان .

إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى « إذا لم تستح فاصنع ما شئت »

[رواه البخارى]

كيف تتأتى المروءة ؟

إني لَتُطربُني الخلالُ كريمةً طَرَبَ الغريبِ بأوبةٍ وتلاقي
وَتَهُزُّنى ذكرى المروءةِ والنَّدى بين الشَّمَائِلِ هِزَّةَ المشتَاقِ
فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودةً فَقَدِ اصطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأرزاق

وهكذا قال شاعر النيل ، حافظ إبراهيم ، فالخصال الحميدة ، والأخلاق

الكريمة لا يُعطاها إلا من اصطفاه ربنا عز وجل ، ولا يصل إلى كمالها إلا صفوة خلق الله ، وهم الرسل الكرام ، عليهم الصلاة والسلام وكما قيل :

« وللمروءة وجوه وآداب ، لا يحصرها عدد ولا حساب ، وقلما اجتمعت شروطها قط فى إنسان ، ولا اكتملت وجوهها في بشر ، فإن كان ففي الأنبياء صلوات الله عليهم ، دون سائرهم ، وأما غيرهم من الناس فعلى مراتب ، بقدر ما أحرز كل واحد منهم من خصالها ، واحتوى عليه من خلالها » .

والمروءة ليست بالمركب السهل ، وإنما هى درب لا يحتمله إلا من وهب نفساً زكية ، وهمماً علية ، فلا يدركها إلا من حوى خصالها وجمع خلالها ، وفي ذلك يقول الشاعر :

إنَّ المروءةَ ليس يدركها امرؤٌ ... ورثَ المكارمَ عن أبٍ فأَضَاعَها
أمرتهُ نفسُهُ بالدناءةِ والخَنَا ... ونهتهُ عن سُبُلِ العُلا فَأَطَاعَها
فإذا أَصَابَ مِنَ المكارمِ خُلةً ... يبني الكريمُ بها المكارمَ باعَها

وقال ابن عائشة :

لولا أن المروءة متصعب محلها لما ترك اللئام للكرام منها بيتة ليلة .

وقال سلام بن عبد الله الباهلي الإشبيلي :

أسباب المروءة مرتبطة بشرف النفس ، وعلو الهمة ، فإن من علت همته زادت مروءته ، وعلا قدره .

وقال العتبي :

لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس : أن يكون عالماً ، صادقاً ، عاقلاً لبيباً ، ذا بيان ، مستغنياً عن الناس .

وقال آخر :

« ما رأيت أجمع لمعاني السيادة ، ولا أجدر بالكرامة والسعادة ، ممن جعل المروءة عماده ، والتقى زاده .

وقال **محمود بن عمير** :

نعم العون على المروءة اليسار ، « وهو سعة اليد » .

وقيل لبعض الصالحين : متى يجتمع للمرء أسباب المروءة ؟

فقال : إذا اجتمعت فيه خمس خصال :

١ – إذا اتقى الله ، ولم يتق الناس ، وتلا قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ ۞ فَانقَلَبُوا بِنِعمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضلٍ لَّم يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤] .

٢ – إذا صبر على النوائب ، وتلا :

﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [القصص : ٥٤] .

٣ – وإذا شكر على النعمة ، وتلا :

﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل : ٤٠] .

٤ – وإذا آثر بالمعروف على نفسه ، وتلا :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

٥ – وإذا بذل الشفاعة ، وتلا :

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِنْها ﴾ [النساء : ٨٥] .

وقد سئل سفيان بن **عيينة** عن المروءة فقال :

هي الإنصاف من نفسك ، والتفضل على غيرك ، ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإِحْسَانِ ﴾ [النحل : ٩٠] ، فلا تتم المروءة إلا بهما ، العدل هو الإنصاف ، والإحسان التفضل .

* والمروءة تتأتى أيضاً ، بمصاحبة الأخيار ، والبعد عن الأشرار ، فالمرء على دين خليله ، وكلٌّ مع من أحب ، فلا تصاحب إلا تقيًّا ، ولا تصادقن إلا صاحب دين ، ولا تأتمنن إلا صاحب مروءة . يقول الشاعر :

تَجَنَّبْ صَدِيقَ السُّوءِ وَٱصرِمْ حِبَالَه
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ عنه مَحيصاً فَدَارِهِ
وأَحْبِبْ صديقَ الخيرِ واحذَر مِراءَه
تَنَلْ مِنه صفو الوُدِّ ما لم تُجارِهِ

الحث على المروءة

كانت المروءة هى الشغل الشاغل لكل من أراد النصح والإرشاد ، فقد جاءت وصايا سلفنا الصالح ، ذاخرة بروائع من النصح ، والحث على التمسك بأهداب الفضائل والأخلاق .

وكذلك القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، ضربا أحسن المثل في النصح والحث على الخلق القويم .

نصائح ووصايا قرآنية

قال تعالى :

﴿ قُل تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أَلَّا تُشرِكُواْ بِهِ شَيئاً وَبِٱلْوَٰلِدَينِ إِحسَٰنًا وَلَا تَقتُلُوٓاْ أَولَٰدَكُم من إِملَٰقٍ نَّحنُ نَرزُقُكُم وإِيَّاهُم وَلَا تَقرَبُواْ ٱلفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقتُلُوا ٱلنَّفسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلحَقِ ذَٰلِكُم وَصَّىٰكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ وَلَا تَقرَبُواْ مَالَ ٱليَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحسَنُ حَتَّىٰ يَبلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوفُوا ٱلكَيلَ وَٱلمِيزَانَ بِٱلقسطِ لَا نُكَلِفُ نَفساً إِلَّا وُسعَهَا وَإِذَا قُلتُم فَٱعدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُربَىٰ وَبِعَهدِ ٱللَّهِ أَوفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وقال تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ، إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ للأَوَّابِينَ غَفُوراً * وَآتِ ذَا القُربَىٰ حَقَّهُ والمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّر تَبْذِيراً * إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُوراً * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيراً * وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً * وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً * وَأَوْفُوا الكَيْلَ إِذَا كِلْتُم وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً * وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ ، وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ [الإسراء : ٢٣ - ٣٨] .

وما هذا إلا غيضٌ من فيض ، فكتاب الله فيه ، ما يُصلحُ للمرء دينه ودنياه ، ... ولما كانت السنة لكتاب الله شارحة ، ولهديه مبينة ، ولأحكامه متممة ، فقد امتلأت بأمثال هذه الدرر من الوصايا ، وها نحن نستعرض بعض ما يثلج الصدور منها .

وصايا نبوية

* عن **العرباض بن سارية** رضى الله عنه قال :

« صَلَّى بِنَا رسول الله ﷺ ذَاتَ يَومٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَينَا بِوجهِهِ فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ ، فَقُلنَا يارسول الله ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا ، فَقَال :

أُوصِيكُمْ بتَقْوَى الله ، والسَّمعِ وَالطَّاعةِ ، وإن تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى ، فَسَيَرى اختلافاً كثيراً ؛ فَعَليكُمْ بسُنتي وَسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين ، تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ وإيَّاكم ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالة » .

وعن **معاذ** قال : أَوْصَاني رسول الله ﷺ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ ، قال : « لَا تُشْرِكْ بالله شَيْئاً وَإِنْ قُتِّلْتَ وَحُرِّقْتَ ، وَلَا تَعُقَّنَّ والدَيك وإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهلِكَ وَمَالِكَ ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً ، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتوبَةً مُتَعَمِّداً فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ ، وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْراً فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ ، وَإِيَّاكَ والمَعْصِيَة ، فَإِنَّ بالمعصية حَلَّ سَخَطُ اللهِ ، وَإِيَّاكَ والفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ ، وإِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ وَأَنْتَ فيهم ، فَاثْبُتْ ، وَأَنْفِقْ على عِيَالِكَ مِنْ طَولِكَ ، ولا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَباً ، وَأَخِفْهُمْ في اللهِ » .

* وعن **أبي ذرٍّ** ، قال : قلت يارسول الله أوصني ، قال :

« أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله ، فَإِنَّه أَزْيَن لِأَمرِكَ كُلِّه . قلت : زدني . قال : عَلَيكَ بتلاوَة القُرآن ، وذِكر الله عَزَّ وَجَلَّ ، فإِنَّه ذِكْرٌ لَكَ في السَّماءِ ، وَنُورٌ لَكَ فى الأَرضِ . قلت : زدني قال : عَلَيكَ بِطُولِ الصَّمْتِ ، فَإِنَّه مَطْرَدَةٌ للشَّيطَانِ ، وعَونٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينك . قلت : زدني ... قال : إِيَّاكَ وَكَثْرَةُ الضَّحِكِ ، فإِنَّه يُمِيتُ القَلْبَ ، وَيَذْهَب بِنُورِ الوجْهِ . قلت : زِدني ... قال :

قُل الحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا ، قلت : زِدني قال : لَا تَخَفْ فى اللهِ لَومَة لائِم ، قلت : زدنى ... قال : لِيَحجزك عن النَّاس ما تَعْلَمُ عَنْ نَفْسِك » .

وقد سار على الدرب رجالٌ ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فأجرى الحكمة على ألسنتهم ، وجعل النور والإيمان فى قلوبهم ، فاهتدوا وهدوا ، وتركوا لنا قاموساً أخلاقياً ، ودستوراً للفضائل ، ما ضل من جعله إماماً ، وسراجاً وتبياناً ، وهذه شذرات من فيض عقولهم ، وثمرات إيمانهم .

وصايا الحكماء

قال **أبو بكر الصديق** – رضي الله عنه – : « استتموا موعد الله إياكم ، وأطيعوه فيما فرض عليكم ، وإن عظمت فيه المئونة ، واشتدت فيه الرزية ، وبعدت فيه الشقة ، وفجعتم في ذلك بالأموال والأنفس فإن ذلك يسيرٌ في عظيم ثواب الله » .

وكتب **عمر** إلى **أبي موسى الأشعري** :

« لا تؤخر عمل اليوم للغد ، وإياك واتباع الهوى ، وحاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة ، فإن من حاسب نفسه فى الرخاء قبل الشدة ، كان مرجعه إلى الرضا والغبطة » .

وكتب إلى **سعد بن أبي وقاص** :

أما بعد .... فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا نُنْصَرُ عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله ، وأنتم في سبيل الله » .

وكتب **على بن أبى طالب للأشتر النخعي** .. فقال :

هذا ما أمر به عبد الله عليٌّ أمير المؤمنين ، مالك بن الحارث بن الأشتر : أمره بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه ، من فرائضه وسننه ، التي لا يسعد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، فإنه – جلَّ اسمه – قد تكفل بنصر مَنْ نصره ، وإعزاز مَنْ أعزه .

وأوصى – رضى الله عنه – ابنه الحسن فقال له :

فإني أوصيك بتقوى الله ، ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، وأَحْي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوِّه باليقين ، ونَوِّره بالحكمة ، وذلِّلْهُ بالموت ، وأصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف ، والخطاب فيما لم تُكَلَّفْ .

وأوصى ذو الإصبع العدواني ابنه فقال له :

يا بني ، إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بَلَغْتُهُ ، فاحفظ عني :

ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يُسَوِّدُوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ؛ يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بما لك ، واحم حريمك ، وأعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع إلى النهضة في الصريخ ، فبذلك يتم سؤددك .

وعهد طاهر بن الحسن لابنه عبد الله ، فقال :

عليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ، ومزايلة سخطه ، والزم ما ألبسك الله في العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومسئول عنه ، والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه .

وأوصى الخطاب بن المعلى ابنه فقال :

« يابنى عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه ، حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفى على الله خافية ، وإني قد وسمت لك وسما ، ووضعت لك رسما ، إن أنت حفظته ووعيته ، وعملت به ، ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصعلوك .... وإياك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يُذهب البهاء ، ويوقع الشحناء ، وأقلل الكلام ، وأفش السلام ، ولا تَخُطَّ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تلو عنقك ، ولا رداءك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلسا ، ولا الحوانيت [1] مُتَحَدَّثاً . وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وغُضَّ عن الفكاهات ، من المضاحك والحكايات .

وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان ، وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك .

وتشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه ، وإيَّاك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ، وَيُحْزِنُونَ من صادقهم .

ومن اتبع الهوى ، مال به الردى ، والمرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولا ينتفع بأكثر من أصغريه » .

فهذه نصائح بديعة ، ودرر بليغة ، فيها شفاء العى ، وجلاء القلب ، وشفاء الصدر ، كلها تحث على أفضل الفضائل ألا وهى تقوى الله عز وجل ، والتمسك بهديه وهدى نبيه ﷺ .

ثم الحث على مصاحبة أهل التقى والصلاح ، وكما مر بنا ، فإن إحدى الطرق التى تتأتى بها المروءة ، مصاحبة أهل الطاعات وأهل التقى .

---

(١) الحوانيت جمع حانوت ، وهو مكان البيع والشراء .